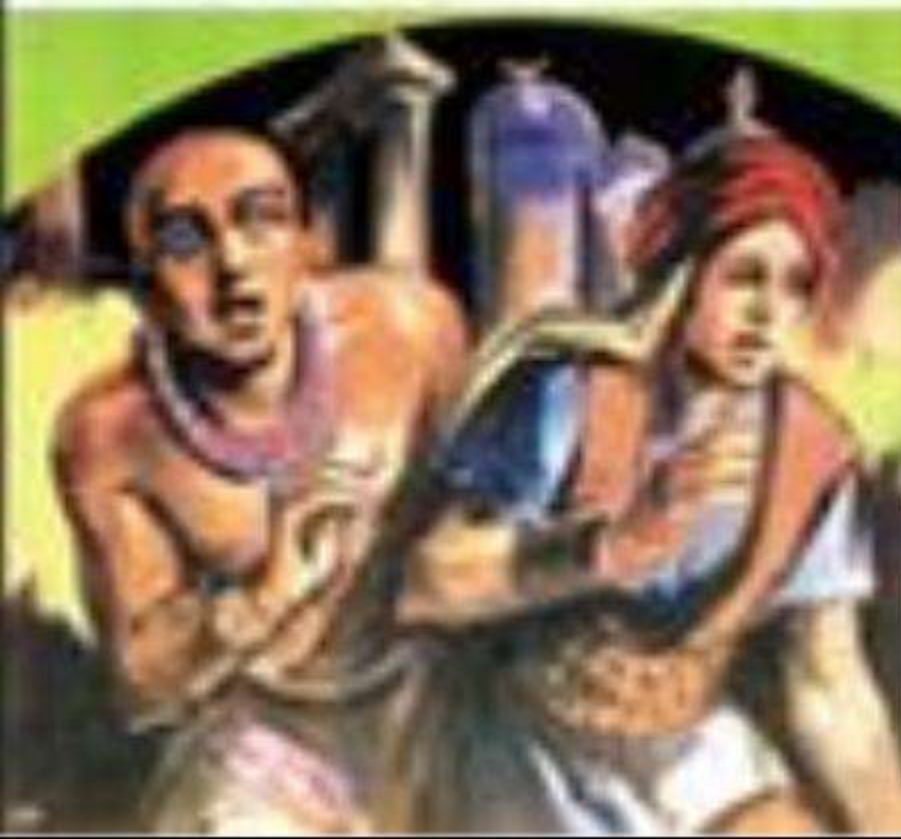


أطياف الماضي



١ - تائه عبر العصور ..

ألفت الأضواء الفرسفورية الخضراء ، للطريق الجديد الذى يربط ما بين (الجزيرة) و (القيوم) بظلال قائمة ، اختلطت بعضها ببعض ، فصنعت فى مجموعها لوحة مرعبة ، فى الواحدة من صباح أحد أيام الربيع المعتدلة المناخ ، اخترق الصمت الخثيم على الطريق صوت إحدى سيارات الشرطة الصاروخية ، فى وردية ليلية معتادة ، وهى تفرق خلال الطريق نحو أهراسات (الجزيرة) الثلاثة ، الشاهقة على مر العصور ..

وكان راكبها صامتين ، وكل منهما يمسى نفسه بنوم عميق ، بعد أن انتهى موعد دوريتهما ، حتى أنهما لم يتبادلا الحديث منذ عبرا حدود محافظة (القيوم) ..
وتغطى الرجل الذى يجلس بعيدا عن أزرار القيادة ، وتشاءب ثم أغلق عينيه فى تكاسل ، وقد ترك لزميله مهمة القيادة ، لكنه سمعه فجأة يتسم فى مزيج من الدهشة والحزن :



سلوى



نور الدين



محمود



رمزى

— ربّاه ! أية دعاية هذه ؟

وأعقب قوله بأن ضغط على (فرامل) السيارة ،
فانطلقت من أسفلها دفعة قوية من الهواء المضغوط رفعتها إلى
أعلى بضعة سنتيمترات ، لتؤمن التوقّف المفاجئ ، ثم دارت
حول نفسها دورة كاملة ، وهبطت متوقفة في سكون ،
ففتح الرجل الآخر عينيه ، وصاح :

— ماذا حدث يا (صبحي) ؟

أجابه (صبحي) في غضب :

— يبدو أن أحدهم يحاول المزاح يا (شوقي) .. لقد
نحت بين تلك الأطلال الفرعونية القديمة التي تبدو إلى
اليسار ، رجلاً يرتدى

ثم بتر عبارته وهزّ رأسه ، وقال :

— لا فائدة ، إنك لن تصدّقني ..

تغلّب فضول (شوقي) على غضبه ، فسأل زميله في لطيفة :

— سأصدقك يا (صبحي) .. هات ما عندك .

تردّد (صبحي) لحظة ، ثم قال :

— لقد رأيت رجلاً يرتدى ملابس المصريين القدماء ..

غطاء الرأس والأحزمة الجلدية .. حتى ذلك الخدّاء الجلدي
القديم الذي نراه في الرسوم الفرعونية .

ظلّ (شوقي) صامتاً لحظة ، يتفرّس في ملامح زميله ، ثم
هزّ كتفيه ، وقال متردّداً :

— حسناً .. سأكمل أنا القيادة حتى آخر الطريق ..

إنك تقود منذ غروب الشمس ولا ريب أنك

صاح (صبحي) في غضب :

— هل تظن أنني توهّمت ذلك ؟ .. يا للسخافة !!

إنني أعمل في دوريات الشرطة منذ عشرة أعوام ، ولقد
قطعت هذا الطريق أكثر من ألف مرة ، في كل أوقات النهار
والليل ..

ابتسم (شوقي) قائلاً :

— ربما أنك

قاطعته (صبحي) صائحاً في غضب :

— ليس هناك (ربما) ... لقد رأيت هذا الأراجوز ،

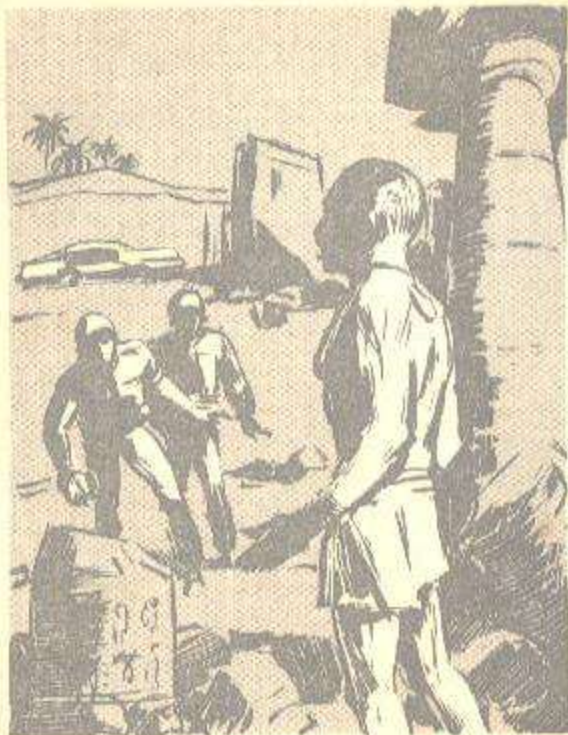
وسأحضره إلى هنا مكبلاً بالأغلال .

قال عبارته وغادر السيارة في إصرار ، ولمّا أدرك
(شوق) أنه لن يستطيع منعه ، أسرع يلحق به وهو متبرّم
من تلك المهمة الوهمية ، التي حرمته لذة النوم .

سار الاثنان بخطوات حذرة بطينة نحو الأطلال الفرعونية
القديمة ، وأشعل (صبحي) مصباحه الذري ، فغمس
المكان ضوءه الساطع ، مسقطاً مزيداً من الظلال ، في
مزيج زاد من جوّ الرهبة الذي يسود المكان ، وتقدّم الاثنان
يتفحصان المكان بعين خيرة مدربة ..

وفجأة برز من بين الأطلال رجل ضخم الحثة ، مفتول
العضلات ، أسمر البشرة ، خفيف شعر الرأس بدرجة
كبيرة ، عارى الجسد ، إلا من منطقة جلدية تغطي وسطه
وأعلى ساقيه ، وموشاة بنقوش فرعونية مميزة ، انقضت منذ
آلاف السنين ..

برز هذا الرجل بفتة وهو يطلق صيحة مرعبة ، ارتجفت
لها أجساد الشرطين ، ثم قفز نحوهما في جسارة مذهلة ، وهو
يحمل في قبضته خنجراً بدائياً ضخماً ..



وفجأة برز من بين الأطلال رجل ضخم الحثة ،
مفتول العضلات ..

تفادى (صبحى) خنجر الرجل الضخم فى اللحظة الأخيرة ، ثم هوى بقبضته على مؤخرة عنقه فى ضربة ساحقة ، سقط الرجل على أثرها أرضاً ، وهو يطلق من بين شفتيه حشرة مؤلمة ، فقد بعدها الوعي تماماً ..

ظل الشريطان فى ذهولهما فترة من الزمن ، ثم قال (شوقى) بصوت يملؤه الدهول :

— هذا مستحيل !! إن ذلك الرجل يبدو وكأنه قد عبر الزمن .. اجتاز آلاف السنين ليهبط فوق رغوسنا .
تلقت (صبحى) حوله ، بتأمل المكان الذى لم يتبدل مطلقاً منذ مئات السنين ، ثم قال بصوت مرتعف قلق :
— من يدري ؟ .. ربما عدنا نحن آلاف السنين ، وغصنا فى أغوار الماضى .

٢ — رحلة إلى الماضى ..

هبط المصعد البلورى الأسطوانى بالرائد (نور) ، إلى الطابق العاشر ، تحت مستوى الأرض من إدارة المخابرات العلمية المصرية ، وهو يشع بضوئه البنفسجى الهادئ ، حتى توقّف أمام البوابة المعدنية المستديرة ، التى تحمل شعار القائد الأعلى للمخابرات ، وأسرع (نور) ببسط يده أمام مربع زجاجى صغير بخوار البوابة ، فتحوّل المربع إلى لون أزرق برّاق ، وانطبعت فوقه صورة واضحة لكفّ (نور) باللون الأحمر ، وظلت كذلك برهة ، ثم تحولت إلى اللون الأخضر ، ثم الزيتونى ، وسرعان ما تلاشت وسط الضوء الأزرق . وتحرك جانباً البوابة فى هدوء ، مفسحة الطريق أمام (نور) ، الذى تحرك فى خطوات عسكرية ثابتة ، وعيناه مركبتان على وجه القائد الأعلى ، حتى أصبح على بعد متر واحد من مكتبه ، فرفع يده بالتحية العسكرية ، وقال فى صوت رزين واضح :

— الرائد (نور الدين) في خدمتك يا سيدي .

رفع القائد الأعلى يده في تحية سريعة ، ثم قال :

— يسعدني أنك تمكنت من القدوم بهذه السرعة أيها

الرائد .

وقبل أن يتفوه (نور) بالعبارة التي دارت في خلدته .

استطرد القائد الأعلى :

— منذ خمس ساعات بالضبط ، حدثت واقعة غاية في

العجب .

ثم قص عليه حادث الشرطيين (شوقي) و (صبحي) ..

ولم يكده ينتهي حتى قال (نور) :

— هل تم استجواب هذا الرجل يا سيدي ؟

أوماً القائد الأعلى برأسه علامة الإيجاب . وقال :

— هذا هو مبعث الغموض في الأمر أيها الرائد ، فلم

يكده هذا الرجل العجيب يفيق من غيبوته ، حتى شرع

رجالنا في استجوابه ، لمعرفة سبب هذا الهجوم العجيب ،

وتلك الملابس التي ظنوا أنها مزيفة ولكن

صمت القائد الأعلى لحظة تملّك فيها الفصول من

(نور) تمامًا ، ثم استطرد :

— ولكن اللغة التي تحدّث بها في ذعر واضح ، لم تكن

مفهومة على الإطلاق .. ولقد حاول الجميع تفسير ألفاظها

ومفارجها ، ولكنهم فشلوا تمامًا ، وهنا حاولوا الاستعانة

بكمبيوتر الترجمة ، ولكن حتى هذا الجهاز الحديث ، فشل

تمامًا في تحديد اللغة التي يتحدّث بها الرجل ، برغم أن

برنامجهم يضم كل اللغات المستخدمة في جميع أنحاء العالم حتى

النادرة منها ، وكان الرجل الغامض طوال هذا الوقت يتطلّع

إلى الجميع في حيرة ، وخوف ، وقلق ..

عاد القائد الأعلى إلى صمته ، فقال (نور) :

— هل تأكدتم من حالته العقلية يا سيدي ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

— إن عقلك يعمل بصورة منظمة أيها الرائد .

ثم اعتدل في مجلسه ، وقال :

— نعم .. لقد فحصنا عقله بصورة روتينية ، فأنت

تعلم أنه منذ كشف علاقة الهرمونات بالحالة العقلية ، لم
تسجل حالة جنون واحدة عجز الطب عن علاجها ، حتى
أن كل المصحات العقلية أغلقت أبوابها .. عمومًا لقد
فحصنا عقله ، ووجدنا أنه يتمتع بقواه العقلية الكاملة .

تردّد (نور) لحظة : ثم قال :

— أخشى أن أصرح بما يدور في خاطري يا سيدي .

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

— أعلم ما يدور في عقلك أيها الرائد .. إنك تخشى
القول إنه من المحتمل أن يكون هذا الرجل فعلاً واحداً من
قدماء المصريين ، وصل إلى عصرنا هذا بصورة غامضة ..
وضمنت لحظة تهّد خلالها ، ثم قال :

— لقد فحصنا هذا الاحتمال أيها الرائد ، واعتقد أن
ما توصلنا إليه سيكون بمثابة القبلة .. لقد لجأنا إلى واحد
من أعظم علماء اللغات الميتة وهو الدكتور (شريف
حافظ) ، ولقد أكد هذا العالم الموثوق به ، أن الرجل
يتحدّث باللغة الهيروغليفية القديمة ، التي كان يتحدّث بها

قدماء المصريين منذ آلاف السنين .. كما أكد عالم آخر من
علماء الأجناس ، وأقصد الدكتور (محمد فادي) ، أن
الرجل يمتلك نفس الملامح المميزة للجنس المصرى القديم ..
الشفاه الغليظة ، والأنف الممتلئ ، والبشرة السمراء ،
والعيون السوداء الواسعة .. نفس الملامح التي تراها في
النقوش الفرعونية على جدران المعابد الأثرية ، كما أنه يرتدى
نفس الزى ، وحتى الخنجر الذي كان يحمله من نفس
النوع ، وطريقة الصنع التي كان يتبعها المصريون القدماء .

كان عقل (نور) خلال حديث القائد الأعلى ، يعمل
بصورة خرافية ، وسرعة خارقة ، محاولاً إيجاد تفسير مقنع
لكل ذلك ، حتى سمع قائده يقول :

— لا يوجد حتى الآن تفسير منطقي ، لوجود هذا
الرجل في القرن الحادى والعشرين ، بعد آلاف السنين من
الزمن المفروض تواجده به ..

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

— إن لدى رأياً غير مشجّع ، بالنسبة للسفر عبر
الزمن يا سيدي .

هو القائد الأعلى رأسه بدوره ، وقال :

— هل تقصد أن هذا الرجل سافر بوسيلة ما غير الزمن ؟ لا أعتقد أن هذا الاحتمال مستبعد تمامًا أيها الرائد ، فنحن حتى عصرنا هذا لم نحل الكثير من غموض لعبة الزمن ، كما أن الظروف لم تشح بعد لإثبات نظريات (ألبرت أينشتاين) في هذا الشأن .

مط (نور) شقيقه ، وقال :

— ربما كان هناك تفسير آخر يا سيدي .

صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم قال في هدوء :

— هذه هي مهمة فريقك أيها الرائد .

رفع (نور) يده بالتحية العسكرية في حزم ، وقبل أن تعود يده إلى موضعها ، ارتفع أزيز جهاز التليفيدو المثبت بمكتب القائد الأعلى ، فرفع هذا الأخير المسماع السري ، ووضع على أذنه وهو يراقب الشاشة الصغيرة للجهاز ، ثم لم يلبث أن أعاد المسماع ، ورفع رأسه مواجهًا (نور) ، وقال بعد برهة من الصمت :

— يبدو أن مهمتك قد ازدوجت أيها الرائد ، فلقد عثر رجالنا على طيف جديد من أطيايف الماضي ، في قلعة (صلاح الدين الأيوبي) .

* * *



٣ - الطيف الثاني ..

تطلع أفراد الفريق في تعجب ، من خلف النافذة الزجاجية المزودة ، إلى الرجل الثاني الذي تم العثور عليه في القلعة ، وهو يدور في غرفته المغلقة مزججاً ساخطاً كالأسد الحيس ..

كان قوى البنيان بصورة واضحة في عظام فكّه البارزة ، وعينيه المركزتين .. وكان يرتدى خوذة معدنية ، تنتهي بعمامة من قماش سميك ، وقلنسوة مزركشة ، وسروالاً واسعاً ، وحذاءً جلدياً ، مرتفع العنق ، وحول وسطه حزام جلدي عريض ، مزين بأزرار معدنية كبيرة ، ويتصل به عمود جلدي منقوش ، يمسك به الرجل في عصبية ، وكأنه غاضب من تجرده من سيفه ، الذي جرّده منه رجال اشغابات العلمية ..

قال (رمزي) في دهشة ، وهو يتطلع إلى الرجل :



— عجباً !! .. كأننا نشاهد لقطة من فيلم تاريخي قديم .

عقب (محمود) على قوله :

— ولكنها لقطة متقنة للغاية يا (رمزي) .

هزت (سلوى) كتفها ، وقالت :

— هذه الملابس التي يرتديها تذكرني بـ ..

قاطعها فجأة صوت هادئ يقول :

— نفس الرزى الذى ارتداه جنود (صلاح الدين

الأيوى) ، إبان الحملة الصليبية يا سيدتى .

استدار الجميع ليطالعهم وجه رجل تمتلئ الجسم

بعض الشيء ، عريض الجبهة ، واسع العينين ، صغير

الأنف والقم ، حليق الوجه ، كثيف الشعر أسوده ..

هادئ الملامح ، يتم فى وُد .. قال الرجل مبذوا

دهشتهم :

— اسمى (محمد فادى) .. الدكتور (محمد فادى)

رئيس قسم علم الأجناس والتاريخ القديم بجامعة القاهرة .

صافحه أفراد الفريق فى وُد ، وسأله (نور) وهو يشير إلى الرجل المجهول عبر الزجاج :

— ما رأيك فى هذا الأمر يا دكتور ؟

وقف الدكتور (فادى) أمام النافذة يراقب الرجل ،

وقد عقد كفيه خلف ظهره ، ثم قال :

— نفس ما حدث بالنسبة للرجل الأول .. ملامح الوجه

والرئى ، يتفقان بصورة مذهلة مع جنود (صلاح الدين

الأيوى) ، فى فترة الحملة الصليبية .. دقة مذهلة لم تتوافر

حتى فى أدق الأفلام التاريخية .

سأله (رمزي) :

— هل تعتقد أنه بالإمكان افتعال هذه الدقة ؟

مطّ الدكتور (فادى) شفتيه ، وقال :

— من الناحية النظرية .. نعم .. يكفى أن تستعين

بخبير فى علم الأجناس والتاريخ القديم مثلى .. أما من الناحية

العملية فالإجابة هى لا .

قال (نور) فى ضيق :

— وماذا يجعل هذا الأمر مستحيلاً عملياً ؟

صمت الدكتور (فادى) لحظة ، ثم هز كتفيه وقال :

— كثير أيها الرائد .. فلو أنك تحاول حبك مثل هذا

الأمر ، فسيكون عليك العنوز على رجل يتميز بنفس البنية القوية لرجال العصر القديم ، وله نفس الملامح المميزة لأهل ذلك العصر .. ثم عليك أن تجعله يجيد التحدث باللهجة المعروفة وقتذاك ، دونما خطأ ، وأن يعتاد عدم استخدام أو تجاهل كل اختراعات التي ظهرت بعد العصر المفترض إتيانه منه ، وبعد ذلك تأتى النقطة الصعبة ، وهى ضمان ولاء مثل هذا الشخص واستعداده للمخاطرة ، وهذا شبه مستحيل بالنسبة لرجل واحد ، فما بالك بشخصين ؟

ظل (نور) يتفكر فى ملامح الدكتور (فادى) لحظة ، ثم أطرق برأسه مفكراً ، فقال (رمزى) :

— وماذا لو أننا بدأنا من النهاية يا دكتور (فادى) ؟

الفتت إليه الجميع فى اهتمام ، فاستطرد قائلاً :

— أعنى لو أننا وجدنا أولاً الرجل المناسب المستعد للمخاطرة ، ثم قمنا بإجراء جراحة تجميل ، لنحول ملامحه

إلى شكل يشبه العصر المطلوب ، وأنت تعلم أن هذا من الأمور السهلة فى القرن الحادى والعشرين .

ابتسم الدكتور (فادى) ، وقال مكثلاً الحديث :

— ثم نقوم بتعليمه وتدريبه على كيفية القيام بمهمته ..

أليس كذلك ؟

ثم هز رأسه غير مقتنع ، فقال (نور) :

— هناك وسيلة للتأكد من ذلك يا دكتور

انجبت العيون إلى (نور) ، الذى أردف فى هدوء :

— أن أتحدث شخصياً إلى هذا الرجل .. وجهاً لوجه .

* * *

شعر (نور) بالتوتر يسرى فى عضلات وجهه ، وهو

يدخل إلى الغرفة الصغيرة العارية من الأثاث ، ويغلق

رتاجها الإليكترونى خلفه فى إحكام ، ثم يقف منتظلاً إلى

الرجل الذى يقف فى الطرف الآخر من الحجرة ..

تبادل الاثنان نظرات باردة قاسية ، ثم مدّ (نور) يده

فى هدوء ، وانتزع مسدسه الليزرى ..

أسرعت يد الفارس نحو غمده ، ثم زعجر في غضب عندما
تذكر أنه أعزل من السلاح ، وفرد قامته في كبرياء ، وهو
يحدق في (نور) بنظرات صارمة متحذية .
ابتسم (نور) قائلاً :

— إذن فأنت تدرك قوة سلاحى الحديث هذا أنها
الفارس .

ظلت ملامح الفارس جامدة . وهو يعقد ساعديه أمام
صدره القوى ، ويراقب حركات (نور) في حذر واضح ،
فخطا هذا الأخير خطوة إلى الأمام ، وقال :
— أليس من الأفضل أن نتصارح ، بدلاً من هذه
التشيلة المزلية يا صديقى ؟

كان الدكتور (فادى) وأفراد الفريق ، يتابعون الموقف
من خلف اللوح الزجاجى ، وقالت (سلوى) في قلق ،
وهي تشاهد زوجها يتقدم نحو الفارس العربى :
— إن (نور) يقوم بلعبة خطيرة يا رفاق .

زوى (رمزى) ما بين حاجبيه ، وهو يراقب الموقف في
صمت ، وهز (محمود) رأسه في قلق ، أما الدكتور

(فادى) فقد مطأ شفتيه ، وقال :

— إنها أخطر مما تظنون .. فقوة هذا الرجل تنفوق
بثلاث مرات قوة زميلكم ، كما أنه جندى مدرب على فنون
القتال .

وفجأة صرخت (سلوى) ، وهى تشير إلى داخل
الغرفة :

— يا الهى ! إنه سيقتل (نور) .

كان الفارس العربى في هذه اللحظة قد حل ساعديه ،
وقفز نحو (نور) في شجاعة وهو يصرخ صائحاً :
— الموت للأعداء .. الموت للغزاة .



٤ - بين الماضي والحاضر ..

قبل أن يدرك (نور) ، ذلك التحول العدواني المفاجئ الذي أصاب الفارس العربي .. كان هذا الأخير قد قبض بيسراه على معصم (نور) الأيمن ، في قوة فولاذية أجبرت (نور) على إفلات مسدسه الليزري من يده ، ثم قبض بيمينه على سترة (نور) ، ورفعه إلى أعلى ، وكأنه يحمل طفلاً صغيراً ، وضرب به الحائط في قوة دار لها رأس (نور) ، وصرخت لها (سلوى) في لوحة .

عاد الفارس القوي يحمل (نور) ، وهو يطلق صرخات قتالية مروعة ، ويقذف به إلى الركن البعيد لترطم جسده بالحائط مرة ثانية ، وتتضاعف آلامه .

رأى (نور) من خلال عينيهِ الزائغتين الفارس العربي القوي ، وهو يعاود هجومه بنفس الشراسة ، فاستجمع إرادته وقوته ، وهبّ واقفاً على قدميه لمواجهة .



ولو أن القتال بالأيدى العادية ، يعتمد بالدرجة الأولى على القوة البدنية ، لكانت الهزيمة من نصيب (نور) حتماً ، ولكن من حسن الحظ أن هذا النوع من القتال ، يعتمد على مهارة وخفة كل من المتصارعين ، ولذا فقد استغل (نور) كل خبراته القتالية ، المكتسبة من التدريبات القاسية في الخابرات العلية ، وأفاد بوزنه وخفته ، وقفز مبتعداً عن الفارس ، في نفس اللحظة التي ألقي فيها هذا الأخير بجسده فوقه ، فاحتل توازنه ، وسقط بجسده الضخم على وجهه .

انتصب الفارس بسرعة ورشاقة برغم ضخامة جسده ، وهم بمواصلة القتال ، ولكن (نور) هوى يقبضته على أنفه ، ثم قفز إلى اليسار ، ولكمه بقوة تحت أذنه تماماً .. ترنح الفارس ودارت عيناه في محجريهما من شدة الألم ، ولكنه تمالك نفسه في صلابة مذهلة ، وعاود هجومه في بسالة نادرة أدهشت (نور) ، الذي قفز متفادياً خصمه الضخم ، ثم ارتفع بجسده إلى أعلى ، ودفع قدمه في وجه



ورفعه إلى أعلى ، وكأنه يحمل طفلاً صغيراً ،
وضرب به الخائط في قوة دار لها رأس (نور) ..

الفارس العربى فى ضربة رشيقة قوية ، تنم عن مهارة عالية ،
وإجادة لقنون الدفاع عن النفس .. وسقط الفارس أرضاً .
ولكنه لم يفقد الوعى ..

كان أفراد الفريق يتابعون ما يحدث فى جنح وترقب .
وقد انخرطت (سلوى) فى اليكاء .. وتصور الجميع أن
الفارس القوى سيعاود هجومه على (نور) ، إلا أنه
استكان فى ركن الحجرة ، ودفن وجهه بين كفيه ، وصاح
فى لوعة :

— يا لصيعة السلطان !! يا للخسارة !!

توقف (نور) مبهوئاً بخدق فى الفارس ، الذى أخذ
يردد عبارته دوماً توقف ، حتى أنه لم يحاول مواصلة القتال ،
أو اعتراض (نور) عندما غادر الغرفة فى هدوء ..

مرت ساعة كاملة على هذه الأحداث ، عندما اجتمع
أفراد الفريق فى حجرة واسعة من حجرات المبنى الإدارى
للمخابرات العلمية ، وقد انضم إليهم الدكتور (فادى)

وعالم آخر طويل القامة ، نحيل الوجه ، مجعد الشعر
أصفره .. له ملامح منمنمة ، ويرتدى منظاراً طبيئاً أنيقاً .. لم
يكن سوى الدكتور (شريف حافظ) عالم اللغات القديمة ..

كان هو الذى يمسك بحيط الحديث قائلاً :
— لن نكون مبالغاً إذا ما قلت إن هذا أعجب
ما واجهنى فى حياتى العملية والعلمية بأكملها ..
اتسم الدكتور (فادى) ، وقال :

— لست وحدك صاحب هذا الشعور يا زميل العزيز .
عاد الدكتور (شريف) يلتقط الخيط قائلاً :
— إن كلاً من الفرعونى القديم والفارس العربى ،
يتحدث باللغة التى كانت تسود عصره تماماً ..

سأله (محمود) :
— هل يتحدث الفرعونى باللغة الهيروغليفية القديمة
دوماً أخطاء ؟

أوماً الدكتور (شريف) برأسه موافقاً ، وأردف :
— بل الأكثر من ذلك أنه يتحدث باللهجة التى تناسب

عصره تماماً .. سيفهمون ما أعنيه عندما تعلمون أن اللغة الدارجة تتأثر دوماً بعصور الاحتلال ، وتتغير تبعاً لاندماج اللهجات والعبارات ، وهذا الفرعوني يتحدث باللهجة التي سادت في مصر في أثناء محاربة (رمسيس الثاني) للعحيثين .. ويكفى أن أقول إن اللهجة المصرية تبدلت تماماً بعد حكم (كليوباترا) ، وبعد احتلال الرومان ، وهكذا ...

قطب (رمزي) حاجيه في دهشة ، وهزّت (سلوى) رأسها في خيرة ، وقال (نور) :
— هل تحدّثت إليه يا دكتور (شريف) ؟
مطّ الدكتور (شريف) شففيه في أسف ، وقال :
— بضع عبارات فقط للأسف .. من الواضح أنه يشعر بالخوف والخيرة ، وهو لا يثق بنا مطلقاً .. بل لقد اعتبرني عدواً .
أطرق (رمزي) لحظة ، ثم قال :

— ربما دفعناه إلى الحديث لو أننا ...

وبتر عبارته ، وظهرت على وجهه دلالات التفكير ، وكأنما يعيد دراسة فكرته مرة أخرى ، ثم استطرد قائلاً :
— لو أننا افترضنا أولاً كونه فرعونيّاً قديماً أصيلاً ، انتقل بوسيلة مجهولة غامضة إلى عصرنا المتقدّم .. فسنطيع أن نسيطر عليه شعور قوى بالخيرة والدهشة والوحدة ، وسيرفض التحدّث بالطبع ، وربما ظن أن كل ما يراه من حوله نوع من السحر المتقدّم ، الذي آمن به قديما المصريين .. والوسيلة الوحيدة لحل عقدة لسانه هي أن يتحدث إلى زميل له ..

نظر إليه الجميع في دهشة وخيرة ، ولكنه لم يلحظ ذلك ، إذ انفتحت إلى الدكتور (شريف حافظ) وسأله في اهتمام :

— هل تعتقد أنه في إمكانك التحدّث بنفس اللهجة واللغة يا دكتور ؟

هزّ الدكتور (شريف) كتفيه ، وقال :
— لن أبلغ مدى دقّته بالطبع ، ولكنني أستطيع ذلك بشكل جيّد .

تهللت أسارير رمزي ، وصاح :

— لقد وجدت الحل إذن .. سيرتدي الدكتور
(شريف) ملابس تشبه زى هذا الفرعوى تمامًا ، ويضع
المكياج اللازم ، ثم نتظاهر بأنه أسير جديد .. وهكذا
سيتعاطف معه الفرعوى ويتحدث و ...

قطع الدكتور (شريف) حديث (رمزي) ، وهو
يقول بصوت شاحب كوجهه :

— لقد نسيت نقطة هامة ، وأنت تضع عطنتك أيها
الشاب .

استدار إليه أفراد الفريق ، فتابع بصوت خجل :
— إننى مجرد رجل علم ، وليست لدى المرأة الكافية
لذلك .

ظهر الضيق على وجوه الجميع ، وكأنما حطمت عبارة
الدكتور (شريف) أملهم ، وقال (نور) :

— آه لو أننى أجيد التحدث بتلك الهيرغليفية القديمة .
رفعت (سلوى) رأسها إليه بغتة ، وتأملته فى تركيز ، ثم
ابتسمت وقالت فى هدوء :

— لرى ، هل أدهشك يا زوجى العزيز ، لو قلت
إننى قادرة على دفعك إلى ذلك ؟

* * *

لم تستطع (سلوى) منع نفسها من الابتسام ، وهى
تشاهد (نور) وقد حوَّله خبراء المكياج إلى وجه فرعوى
أصيل ، وزى قديم مألوف ، وضحكت وهى تقدِّم إليه
قرصًا صغيرًا من المعدن وتقول :

— ضع هذا الجهاز الأنيق تحت لسانك يا زوجى
الفرعوى ، واحرص على ألا ينزلق من فمك فى أثناء
تحريكه .

ثم أشارت إلى جهاز صغير مثبت فوق منصة قريبة ،
وقالت :

— سيجلس الدكتور (شريف) أمام هذا الجهاز ،
وستابع فى دفء كل كلمة ينطق بها الفرعوى ، وسيكون
عليك مجرد تحريك شفتيك بشكل مبهم ، أما الصوت الذى
سيخرج من بين شفتيك ، فسيكون صوت الدكتور

(شريف) ، من خلال الميكروفون الدقيق الذى تضعه
تحت لسانك .. أما ترجمة الحوار الذى سيدور بينك وبين
الفرعونى ، فستصلك من خلال كميونتر الترجمة الخاص
بقسم اللغات القديمة ، عن طريق المسامع الميكروسكوبى ،
الذى تضعه داخل أذنك ، حتى يمكنك رسم التعبيرات
المناسبة على وجهك ، تبعا لما يتطور إليه الحديث .

قال (محمود) ، الذى كان يتابع الحديث :

— أعتقد أنها القائد أن هذا أصعب دور يمكن إسناده
إلى ممثل محترف .

ابتسم (نور) ، وقال وهو يحكم رباط الأحزمة
الجلدية لصندله القديم :

— سأحاول التفوق على الممثلين المحترفين يا عزيزى
(محمود) .

ثم رفع ذراعيه فى حركة مسرحية هزلية ، وهو يقول :
— والآن أيها السادة .. أئن تضعوا أسيركم الجديد فى
السجن ؟

* * *

تطلع الفرعونى القديم فى شك وحيرة إلى (نور) ،
الذى استلقى فى الركن الآخر من الغرفة ، متظاهرا
بالإغماء .. وفى حذر نهض الفرعونى القديم ، وأخذ يحوم
حول (نور) ، ثم انحنى فوقه يتفحص ملامحه ..

وهنا فتح (نور) عينيه ، وأخرج من بين شففيه صوت
الدكتور (شريف) قائلا بالهدير وعلقية :

— بحق (آمون) .. أين أنا ؟

وكأنما أعاد ذكر الآلهة الفرعونية إلى الفرعونى هدوءه ،
فجلس القرفصاء أمام (نور) ، وقال فى هدوء ودعة :

— ماذا أصابك أيها الزميل ؟

تظاهر (نور) أنه ينهض فى صعوبة ، على حين قال
الدكتور (شريف) عن لسانه :

— لست أدري يا زميلى .. لقد كنت أحارب بحوار
ملكنا (رمسيس) ، وفجأة فقدت الوعي ..

ظهر الشك على وجه الفرعونى ، فقال :
— لقد أعد ملكنا المحبوب أربع فرق لخاربة الحيشيين ..

(آمون) و (رع) و (بتاح) و (ست) .. في اى منها
كنت تحارب ؟

لوح (نور) بذراعه في الامبالاة ، على حين قال
الدكتور (شريف) في ثقة :

— (آمون) بالطبع يا زميلي .. قلت لك اننى كنت
أحارب إلى جوار الملك .

اطمان الفرعونى بعد هذه الإجابة ، وقال :

— أما أنا فلم أخسر معركة قط يا زميلي .. لقد كنت

أقوم بنوبة حراسة ليلية . ثم فجأة وجدت نفسى أواجه سحر

الحشيشين ، وكانوا يرتدون لباسا عجيبة ، لم أر مثلها من قبل ،

ويحملون في أيديهم نارا سحرية . تشع ضوءا ، ولكن

بلا حرارة أو دخان .. إنهم سحرة أقوياء .

وفجأة توقف الفرعونى عن إتمام عبارته ، وتفرس في

وجه (نور) بشكل أدهش هذا الأخير ، ثم مّد يده نحو

وجه (نور) ، وهو يتمتم في دهشة عارمة :

— ما هذا بحق (آمون) ؟



وفجأة توقف الفرعونى عن إتمام عبارته ، وتفرس

في وجه (نور) بشكل أدهش هذا الأخير ..

وقبل أن يدرك (نور) ما ينتويه الفرعوى القديم ، كان هذا قد أمسك بالقناع الأسمر الرقيق الذى يغطى وجهه (نور) ، وجذبه فى دهشة واضحة ، وتحولت دهشته إلى ذهول عارم ، حينما تمزق القناع الرقيق ، وظهرت من تحته بشرة (نور) البيضاء .

حذق الفرعوى ، فى الجزء الذى تمزق من القناع فى ذهول ، وتراجع إلى الخلف فى ذعر ارتجف له كيانه ، وهو يصرخ :

— رباه !! إن لك وجهين .. يا للسحر المين !!
فليحفظ (آمون) أرواحنا .. فليحفظنا من الضياع .



٥ - الماضى المفزع ..

جلس أفراد الفريق فى الغرفة الواسعة التى أعدت لاجتماعاتهم ، ومعهم العاملان ، وكان الجميع يتطلعون فى غيبة أمل إلى (نور) ، الذى أخذ يزيل بقايا المكياج من وجهه ، وقد ساد الصمت التام إلى أن قال الدكتور (شريف) :

— لا يمكن اعتبار هذه المحاولة فاشلة تمامًا ، لجرد أنه كشف تنكرك .

حرك (نور) رأسه بشكل يدل على الضيق ، وقال :
— ومتى يمكننا اعتبارها فاشلة إذن ؟ .. إننا لم ننجح فى الحصول على أية معلومات جديدة ، وخسرنا فرصة مثالية ، وزرعنا فى قلبه مزيدًا من الشك والريبة .. ما الفشل إن لم يكن كذلك ؟

استند (رمزي) إلى مقعده ، وقال :
— هناك نقطة ناجحة فى الأمر أيها القائد ، إذا ما اعتبرتها كذلك .

استدار إليه (نور) . وعقد ساعديه أمام صدره ،
وأصغى في اهتمام ، فتابع (رمزي) :

— لقد تابعنا مع الآخرين كل ما حدث في أشياء
لقائك بالقرعوني الغامض ، ولكنني أختلف عنهم في نقطة
واحدة ، وهي أنني خبير في الطب النفسي ، وعلم دراسة
الانفعالات البشرية ، وعن طريق خبرتي هذه ، أستطيع أن
أجزم بأن كل انفعال صدر منه كان طبيعياً للغاية ، بلا أدنى
شك .

ضم (نور) شففيه في قوة . وقال :

— إن جزمتك هذا يزيد من حيرتي وعموض الأمر
يا (رمزي) .

ثم لوح بيده في ضجر ، وهو يستطرد :

— كيف نجد تفسيراً للأمر إذن ؟ .. رجالان أتى كل
منهما من عصر يعد عنا بالآلاف السنين .. يشعرون بالخوف
والخيرة مثلنا تماماً ، ولكن أحدهم — وأقصد القارس
العربي — يدرك فور رؤيته للسدسي الليزري الحديث ،

— الذي لم يتم ابتكاره إلا منذ سنوات قليلة — أنه سلاح
يشكل خطورة على حياته ، ويكشف الآخر تنكري
المتفنن .. هل لديك حل منطقي يمكنه تفسير كل ذلك ؟

هز (رمزي) رأسه نفياً ، وقال :

— ربما ما زلنا نفتقد بعض النقاط .

أشاح (نور) يده في عصبية ، ولاد بالصمت ، وهنا
قال (محمود) :

— ماذا لو كانت نظرية (رمزي) الأولى ، عن انتقاء
الرجال وإجراء جراحات تجميلية لهم سليمة مع تعديل
بسيط ؟

أعاره الجميع انتباههم ، فاستطرد في حماس :

— أقصد لو أن الرجال أنفسهم مقتنعون تماماً ، أنهم
قد قدموا من عصور ماضية بالفعل -
قفز (نور) من مكانه صائحاً :

— رائع يا (محمود) .. لقد فهمت ما ترمي إليه .
إنك تقصد أنهم قد تعرضوا لنوع من التويم المغناطيسي ،
بحيث عادت عقولهم إلى هذه العصور القديمة .

أشار الدكتور (قادی) بيده قائلاً :

— لحظة أيها الفتيان .. هل تقصدون أن الرجلين قد تلقيا تدريباً مكثفاً ، على التحدث والتحرك بأسلوب أهل العصرين المفترض قدومهما منهما ، ثم استسلما للتصميم المغناطيسى ، بحيث اقتنعا فعلاً أنهما كذلك ؟

صاحت (سلوى) فى جدل :

— هذا بالضبط ما يقصده (نور) يا سيدى .

رفع (محمود) سبابته فى فخر ، وقال :

— وهنا يأتي دورى أنا كخبير الأشعة .. لو أن الرجلين أخرجت لهما جراحات تخيلية ، فسيتمكنى كشف ذلك على الفور .

سأله (نور) فى هفة :

— أحقاً ؟!! .. وكيف يمكنك ذلك ؟

ابتسم (محمود) ، وقال :

— بإسقاط الأشعة فوق البنفسجية على وجهيهما أيها القائد .. فلو أن جلد الوجهين تعرض سابقاً إلى عمليات

جراحية مهما بلغت دقتها . ستضىء حواف المنطقة المعدلة من الجلد بلون بنفسجى داكن ، بعكس باقى أجزاء الوجه . قال (نور) :

— حسناً يا (محمود) سنقوم بتخديرهما فى الحال ، ثم تبدأ اختيارك .

تهتدت (سلوى) وهى تتطلع فى وجه زوجها
بسعادة ، ولكنها عادت تقطب حاجبيها فى قلق ، عندما لم تلمح فى عينيهِ ذلك البريق المألوف ، الذى يعلوهما حين يتوصل (نور) إلى الحل الصحيح .

* * *

تمتد الرجلان المجهولان فوق منضدة واسعة فى حجرة الأشعة ، بعد أن غانا عن وعيهما . بفعل الغاز الذى أطلق فى غرفتيهما ، وثبت (محمود) جهاز الأشعة فوق البنفسجية فوق رأسيهما بأصابع خبيرة مدربة ، ثم أشار إلى مصباح الغرفة وقال :

— والآن إظلام كامل .

أخفى الضوء النفسى افئادى انفعال (نور) ، وهو
يقول :

— هكذا !!

ثم أسرع بفحص وجهى الرجلين فى عناية بالغة ، ولم
يلبث أن تم صوتة عن النصر ، وهو يقول :
— هناك نقطة أخرى مشعة على جانب الرأس الآخر ،
وعلى جانبى وجه الفارس العربى أيضاً .. يبدو أننا وضعنا
أيدينا على طرف الخيط يا رفاق .

* * *



ضغط (نور) على زر مصباح الإنارة . فغرقت الغرفة
فى ظلام دامس ، وعادت تضئ بلون بنفسجى خافت ،
عندما بدأ جهاز (محمود) فى العمل .
سقطت الأشعة الكاشفة على وجهى الرجلين ،
وسقطت معها قلوب أعضاء الفريق ، وامتلأت وجوههم
بعلامات خيبة الأمل . وتمتم (محمود) فى غيظ :
— إن الأشعة تتوزع على وجوههم بشكل متساو ..
للأسف إن النظرية خاطئة .. لم تجر للرجلين أية جراحات
على الإطلاق .

خيم الصمت التام على جوّ الحجرة ، وساد شعور
باليأس ، إلا أن عيني (نور) التقطتا شيئاً ما ، فأشار
بسيّافته إلى نقطة صغيرة فى حجم رأس الديبوس ، على
الجانب الأيمن من وجه الفرعوفى . وقال فى اهتمام بالغ :
— لم تتألق هذه النقطة بالذات يا (محمود) ؟
فحص (محمود) النقطة الصغيرة ، وقال فى دهشة :
— عجباً .. إن هذا التألق لا يحدث تحت تأثير
الأشعة فوق البنفسجية ، إلا إذا سقطت فوق جسم مشع .

٦ - الخيط المعقد ..

تنهّد الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين فى جمهورية مصر العربية ، ونحى جانباً مجلداً ضخماً ، كان يهيك فى مطالعته ، ثم دغك عينيه المتعبتين ، وتطلّع إلى (نور) فترة ، ثم قال :

— يؤسفنى ألا أجد ما يفيدك يا (نور) .. لقد قلبت كل المراجع القديمة والحديثة ، بحثاً عن الوسيلة التى تفتق لها ذهنك ، للسيطرة على العقل عن طريق المواد المشعة ، ولكننى لم أجد لها أفراً .. يبدو أنها لا توجد إلا فى مخيلتك فقط .

قلب (نور) كفيه فى حيرة ، وقال :

— ولكن يا سيدى ، لابد من وجود تفسير للنقطتين المشعّتين على جانبيه وجه كل من الرجلين .. إنها النقطة الوحيدة التى من الممكن أن تقودنا إلى الحل .



مط الدكتور (حجازى) شقيقه ، وهز رأسه بأسف .
وقال :

— كنت أتمنى معاونتك يا (نور) ، ولكننى عاجز
عن ذلك تمامًا .. معذرة يا بى .

ضرب (نور) قبضته اليمنى فى راحته اليسرى ، وهو
يقول :

— لا بد من وجود تفسير لكل ذلك يا سيدى .. لا بد
أن أجد تفسيرا وإلا أصابنى الجنون .

قطب الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وقال :

— ولم يا ولدى ؟ كل إنسان معرض للفشل ولو مرة
واحدة فى عمره . لا بد لنا من أن نقبل ذلك ، وإلا نأفينا
الله (سبحانه وتعالى) ، فهو وحده المعصوم من الخطأ .
قال (نور) فى بأس :

— عضوا يا سيدى .. إنما هى كلمات تطقت بها
حيرتى .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، تأمل خلالها

ملاح (نور) ، ثم نهض من مقعده ، وأخذ يسير فى أنحاء
الغرفة ، ثم استدار مواجهها (نور) ، وقال :

— لا عليك يا بنى .. إن الشعور نفسه يراودنى .. إنها
الحيرة وراء الحقيقة ، فبرغم خيرتى الطويلة فى مجال الطب
الشرعى ، إلا أنسى لأول مرة أواجه لغزا أعجز عن
تفسيره .. فلقد فحصت الرجلين بدقة بالغة .. صحيح أن
النقطتين الغامضتين تشعان ببريق يؤكد طبيعتهما المشعة ،
إلا أن الخلالا من أسفلهما سليمة تمامًا .. لم تحترق ، ولم
تخترق ، ولم يصبها أدنى ضرر .

ثم صمت لحظة ، وعاد يقول :

— صدقنى .. إنها المرة الأولى التى أتمنى فيها لو أن رجلا
حيًا وافته المنية ، حتى يمكننى تشرح جثته ، والبحث عما
أريده ..

ولجأة توقف الدكتور (حجازى) عن إتمام عبارته ،
وقطب حاجبيه ، وتمتم فى اهتمام :

— رتاه ! ولم لا ؟

— ولكن من يمكنه القيام بذلك ؟

استسم الدكتور (حجازى) ، وقال :

— فى عصرنا هذا كل شىء يدار بالكمبيوتر ، أيها الفتى

التجيب .

* * *

كان الفرعونى هو أول من خاض التجربة ، حيناً وجد

نفسه مقيداً فوق مقعد جلدى كبير ، وأمامه شاشة ضخمة

من شاشات الكمبيوتر ، فأخذ يزجر فى حق وضيق ، وإن

لم تخل نظراته من الحيرة والخوف .. واهتمت الدكتور

(شريف) فى إعداد أجهزة الترجمة الخاصة ، التى تتيح

للاخبرين متابعة الحوار باللغة العربية ، على حين استسم

الدكتور (حجازى) ، وهو يقول لأفراد الفريق :

— سنجلس جميعاً خلف الكمبيوتر أيها السادة ، فى

مواجهة ضيقنا الفرعونى تماماً ، وإلا سقطنا جميعاً ضحايا

التنويم المغناطيسى .

سأنته (سلوى) فى حيرة :

قفز (نور) من مقعده وهو فى غابة الانفعال ،
وأمسك بذراع الدكتور (حجازى) صائحاً :

— ماذا يدور فى خاطرك يا سيدى ؟

أزاح الدكتور (حجازى) يد (نور) فى لطف ،

وقال :

— لقد بحثت معاً احتمال أن يكون الرجلان قد تعرضا

للتنويم المغناطيسى .. أليس كذلك ؟

ودون أن ينتظر إجابة (نور) ، استطرد متسماً :

— لماذا لا نلجأ إذن إلى نفس الوسيلة ؟

سأله (نور) فى انفعال :

— هل تقصد أن ... ؟

قاطعته قائلاً :

— نعم يا (نور) .. سنقوم بتنويمهما مغناطيسياً ،

ونستخرج من عقليهما كل ما نريد ، حتى ما لا يذكرانه وهما

فى وعيها .

تهللت أسارير (نور) لحظة ، ثم عاد يقطب حاجبيه

قائلاً :

— هل أنت واثق من النتيجة يا سيدى ؟ .. معذرة ،
ولكنها المرة الأولى التى أعلم فيها صلة الكمبيوتر بالتصوم
المغناطيسى .

ضحك الدكتور (حجازى) ، وهو يقول مداعباً :
— يا للعار !! إن استخدام الكمبيوتر فى التصوم
المغناطيسى يعود إلى عام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين ،
حينما ظهر أول شريط كمبيوتر لدفع المدخنين إلى التوقف عن
ذلك ، وآخر لتقوية الإرادة .

احمر وجه (سلوى) خجلاً ، وتتمنت فى شجة أقرب
إلى الاعتذار :

— يبدو أن معلوماتى فى هذا المجال قاصرة .

همّ الدكتور (حجازى) بمداعبتها مرة أخرى ، ولكن
الدكتور (شريف حافظ) رفع رأسه عن أجهزته المعقدة ،
وقال :

— أجهزتى مستعدة لبدء الاتصال .

قال (نور) فى اهتمام :

— حسناً .. لن نضيع الوقت .



كان الفرعونى هو أول من خاض التجربة ، حينما وجد
نفسه مثبّطاً فوق مقعد جلودى كبير وأمامه شاشة ضخمة .

أطفاً الدكتور (حجازى) أضواء الغرفة . فعاد
الفرعونى يزجج فى مزيج من الحوف والرهبة والغضب . ثم
نذت من فمه صرخة مكتومة ، عندما أضاءت شاشة
الكمبيوتر الضخمة فجأة بضوء مبهى . وظهرت فى
منتصفها دائرة صغيرة بيضاء ، تدور حول نفسها فى ببطء
وهدوء ، وتعلقت أبصار الفرعونى على الرغم منه بتلك
الدائرة الصغيرة ، التى تكونت حولها دوائر أخرى بتزايد
حجمها باستمرار ، وتدور جميعها فى نفس الاتجاه ، مع
تزايد حثيث تدريجى فى السرعة .

وفجأة التحمت الدوائر جميعها مكونة شكلاً لولياً
يشبه الدوامة . وارتفعت سرعتها الى درجة كبيرة ،
وأخذت تتألق وتنطفئ فى سرعة مذهلة ، فى نفس الوقت
الذى تصاعدت فيه موسيقى ناعمة أرخت أعصاب
الجميع .

تناقلت عينا الفرعونى على الرغم منه ، وشعر بحرقه
يسقطان ليلتحما فى سكون وهدوء . وهنا قال الدكتور
(حجازى) فى ثقة :

— يمكنك استيعابه الآن يا دكتور (شريف) ،
وسيكون أطوع لك من بنائك .

وأعقب عبارته بأن أوقف الكمبيوتر ، وبدأ الدكتور
(شريف) فى تشغيل أجهزة الاتصال وهو يقول :

— لو أن هذا الرجل مخادع ، فسيفص علينا تاريخ
حياته ، وسيدلى باعتراف كامل دون تردد .

ثم سأل الفرعونى الدائم بالمير وعليقة القديمة :

— من أنت ؟

تولت أجهزة الترجمة الإليكترونية نقل الحوار إلى أفراد
الفريق باللغة العربية ، فسمعوا الفرعونى يقول فى استكانة :

— (خوف — حر) .. خادم الإله (أمون) ،
وعبد الفرعون الأعظم (رمسيس الثانى) .

تبادل الجميع نظرات الخيرة ، ثم عاد الدكتور
(شريف) يسأله :

— كيف أتيت إلى هنا ؟

أجاب الرجل الدائم فى خنوع :

— كنت أقوم بنوبة حراسة ليلية حول خيمة الفرعون
الأعظم ، ثم ...

وفجأة تصبب العرق الغزير على جبهة الرجل ، ونمت
ملاحمه عن الرعب والألم في آن واحد .. كان كسب يقاوم
الآلام رهيبه ، وتلوت ملاحمه بشكل مخيف ، آثار الرهبة في
قلوب الجميع الخدق فيه ، حتى أن (سلوى) قبضت على
ذراع زوجها ، وقالت في خوف :

— ماذا أصابه يا (نور) ؟ .. هل يبب التوريم
المغناطيسي كل هذا الألم ؟

أجابها الدكتور (حجازي) ، وهو يتفكر في ملامح
الرجل في دهشة :

— مطلقاً يا (سلوى) .. إنني لا أفهم ما يحدث له .
وفجأة صرخ الفرعوني في لهجة تجمع بين الدعر
والدهشة والألم :

— فليرحنا (آمون) .. الشمس تشرق في ظلام
الليل .. إنه سحر .. فليرحنا الألهة ..

وأخذ جسده ينتفض في قوة وهو يتأوه ، وتخرج من بين
شفثيه حشرة مؤلمة .. حتى أن الدكتور (حجازي) قفز
نحوه . وصغعه في قوة ارتج لها كيان الفرعوني ، ثم لم يلبث أن
فتح عينيه . وقد استعاد وعيه ، وأخذ يحدق في الجميع
بدعر هائل .

تهدد الدكتور (حجازي) ، وقال :

— سنضطر إلى الاكتفاء بهذا القدر .. من الواضح أن
شيئاً ما يكبل ذاكرة ذلك المسكين ، ويمعه من الإدلاء
بما لديه .

قطب (نور) حاجبيه في تركيز ، وظهرت الدهشة
والحيرة على وجوه الآخرين ، وقال (محمود) في قلق :

— ماذا يعنى بأن الشمس تشرق في ظلام الليل ؟

ساد الصمت بينهم . وكل منهم يبحث في ذهنه عن
تفسير منطقي للعبارة ، إلى أن قال (نور) :

— دعنا من التفسير الآن يا (محمود) .. سنحاول
ترتيب كل المعلومات ، بعد أن نقوم باستجواب الفارس
العربي .

* * *

استغرق الفارس العرب وقتاً أطول ، قبل أن يسقط في
دوامة التوهم المغناطيسي الإليكتروني ، ولكن عنيده في
النهاية استسلمتا في سكون ، وانطبقتا في خنوع ، ويبدو أن
صبر (نور) كان قد نفذ في تلك اللحظة ، فقد أسرع
يسأله في لهفة :

— من أنت أيها الفارس ؟

أجابه الرجل :

— (حسام الدين الإخشيدى) .. قائد الفيلق

الثالث من قوات مولانا السلطان (صلاح الدين الأيوبي) ،
وحامي قلعته العظيمة .

ابتسم الدكتور (حجازي) ، وقال مداعباً ومخففاً من
حدة التوتر التي سادت الغرفة :

— أخيراً ها هو ذا رجل ذو شأن .

لم يتسم أحدهم لدعائته ، وعاد (نور) يسأل
الرجل :

— ماذا أصابك يا (حسام الدين) ؟ .. كيف وصلت

إلى هنا ؟

صمت الرجل لحظة : وتوترت عضلات وجهه ، وكأنه
يقاوم شيئاً ما في داخله ، وقال في ببطء وتركيز :

— إنها ليلة من ليالي الشتاء المقمرة ، ولقد وصلنا
الأنباء بأن مولانا السلطان قد لقن الصليبيين درساً قاسياً
على مشارف القدس ، وخرجت من القلعة فرحاً
مستبشراً . أتزه حولها في ضوء القمر مع (عالشة) .

ازداد تؤثر عضلات وجهه ، وهو يستطرده :

— جرت (عالشة) مبتعدة ، وعدوت وراءها
مداعباً ، ولكن

ظهر الألم والخوف على ملامحه فجأة ، وأخذ يحرك رأسه
في صعوبة ، كما حدث مع الفرغولي .. حتى أن (نور) عاد
يسأله في قسوة :

— ماذا حدث يا (إخشيدى) ؟ .. ماذا حدث بالله
عليك ؟

قال (الإخشيدى) في كلمات متناثرة بطيئة ،
خرجت من بين شفتيه في صعوبة :

— يا هول ما حدث !! لقد انبلج الصبح فجأة ..
 كان الظلام يحيط بالقلعة ، أما نحن فقد كنا في ضوء النهار ..
 ثم صرخ فجأة في فرع :
 — لا يا (عائشة) .. ابتعدي عن النار ..
 لا يا (عائشة) ..

وأخذ يتلوى فجأة من الألم ، ويصرخ في دعر ، وفرع
 ثم صرخ صرخة قوية ، واستكان جسده تماما فوق المقعد .
 وقد جحظت عيناه ، وتدلى لسانه خارج فيه بشكل
 مفرع ، دفع (سلوى) إلى الصراخ والتعلق بذراع
 زوجها ..

فقر (رمزي) والدكتور (حجازي) في آن واحد نحو
 (الإخشيدى) ، وأخذوا يفحصانه في سرعة واهتمام ، ثم
 حل (رمزي) قيوده ، وأخذ يدلك صدره في عنف ، إلا أن
 الدكتور (حجازي) رفع رأسه وقال في أسف :
 — لا فائدة يا (رمزي) .. لا فائدة يا بني .. لقد
 لقي الرجل حتفه من شدة الفزع .



فقر (رمزي) والدكتور (حجازي) في آن واحد نحو
 (الإخشيدى) ، وأخذوا يفحصانه في سرعة واهتمام ..

٧ - الشاهد الوحيد ..

استكان (نور) فوق مقعد وثير داخل الغرفة المخصصة
للفريق ، وأحاط رأسه بكفيه ، وأغمض عينيه ، وإن ثمت
ملاحظه على الاستغراق الكامل ، والتفكير العميق ..
واحترم الآخرون صمته ، فلاذ كل منهم بالسكون فترة
طويلة ، وأخيراً قال الدكتور (حجازى) :

— لم أتصور مطلقاً أن يؤدى الأمر إلى وفاة الرجل ..
إنها السابقة الأولى في التنويم المغناطيسى .

قال (رمزى) :

— من الواضح أن كلاً من الرجلين تلقى أمراً عقلياً
بعدم الإفصاح عما لديه ، حتى تحت تأثير التنويم
المغناطيسى .

هز (محمود) كتفيه ، وقال :

— لقد كنت أظن سابقاً ، أن التنويم المغناطيسى يمكنه



إجبار الإنسان على الإفصاح بكل ما لديه ما دام قد خضع له .

قال الدكتور (حجازى) :

— هذا ما كنت أظنه حتى صباح اليوم يا (محمود) .. ولكن بعد وفاة الفارس العربى . اختلت معلوماتى تمامًا .

وهنا فتح (نور) عينيه فى بطاء ، وقال :

— لقد فضينا على هذا المسكين يا سيدي . ولكنه قد يكون صاحب الفضل فى كشفنا حل هذا اللغز الغامض .

سأله الدكتور (حجازى) فى حيرة :

— كيف تقول ذلك يا (نور) ؟

أجاب (نور) بلهجة اشم فيها الجميع رنين الألم :

— إننى أحاول التغلب على عواطفى ، والتفكير بشكل عملى يا سيدي .. لقد كنت تمنئى تشرىح جثة أحد الرجلين ، وها هى ذى الفرصة سانحة أمامك .

ظل الجميع يتحدثون فى وجه (نور) لحظة ، ولكنه عاد فأغلق عينيه ، وقال :

— هذا إذا أردت ذلك بالطبع .

هز الدكتور (حجازى) رأسه ، وقال :

— حسنا يا (نور) .. سأقوم بتشرىح الجثة ، ولندع الله

جميعا أن يقر لنا ذلك إلى بصيص من النور .

* * *

اعتمد الدكتور (محمد فادى) بمرفقيه على مكتبه ،

وقال موجها حديثه إلى (نور) :

— لقد فحصت كل السجلات التى أمكن العثور

عليها أنها الرائد ، عن عصر (صلاح الدين الأيوبي) ،

وكدت أن أصاب باليأس ، لولا أننى عثرت على شهادة

أدلى بها أحد رجال القلعة عام ألف ومائة وسبع وثمانين ..

نفس العام الذى هزم فيه (صلاح الدين) جيوش

الصليبيين فى (حطين) .

ثم (نور) :

— إنه أيضًا نفس العام الذى ذكره (حسام الدين

الإخشيدى) فى روايته ، وهو تحت تأثير التوهم المغناطيسى .

أوما الدكتور (فادى) برأسه ، وقال :

— تماماً . لقد قال الرجل في شهادته إن (حسام الدين
الإخشيدى) قائد الفيلق الثالث وحامي القلعة ، قد خرج
للنزهة في ضوء القمر ، تصحبه جارية تدعى (عائشة
البورية) ، ولكنهما لم يعودا من نزهتهما ، وأنهما في رأيه قد
هربا معا ، لأن الجارية كانت مملوكة للسلطان نفسه .
(نور) ما بين حاجبيه في تركيز ، على حين
استطرد الدكتور (فادى) قائلاً :

— ولقد عثرت على شهادة أخرى لأحد حرس القلعة ،
مشير دهشتك أكثر أيها الرائد . لقد قال الحارس : إنه في
أحد الأيام بعد وصول الأنباء التي تحمل بشرى انتصار
السلطان في معركة (حطين) ، وبعد منتصف الليل
بقليل ، انبعث فجأة ضوء قوي من الدغل القريب من
القلعة ، حوّل المنطقة بأكملها إلى ما يشبه النهار ، ولم
يلبث أن تلاشي دوماً أضرار .
ثم ابتسم وقال :

— ولقد عزوا الأمر حينذاك إلى سقوط نجم النصر على
السلطان الأيوبي ، وأنها بشرى الانتصار .
بعض (نور) من مقعده ، وعقد كفيه خلف ظهره ،
وقال :

— إذن فرواية (حسام الدين) — رحمه الله — كانت
صحيحة . إنه إذن من عصر (صلاح الدين) .
ثم لوّح بذراعه في حثق ، وقال :
— ولكن كيف وصل إلى هنا بحق السماء ؟
ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قال الدكتور
(فادى) :

— هل انتهى الدكتور (محمد حجازى) من تشریح
جنة (الإخشيدى) ؟
نظر (نور) إلى ساعته ، وقال :
— اعتقد ذلك .
ثم اعتدل في وقفته ، وقال :
— لن يمكنك أن تتصور مدى لهفتي على معرفة النتائج

التي توصل إليها يا دكتور (قادي) .. إنني أبحث عن طرف واحد للخيط يمكنني الإمساك به .. طرف واحد حتى لو قضيت حياتي في تشعبه .

* * *

لم يكذب الدكتور (حجازي) بحذف يديه ، بعد أن انتهى من فحص جثة (الإخشيدى) ، حتى رأى (نور) يدخل إليه ، وعلى وجهه علامات الالهفة والترقب ، فأشار إليه بالجلوس ، وجلس أمامه قائلاً :

— يبدو أن هذا الرجل (حسام الدين الإخشيدى) ، سيكون لغزاً في مماته كما كان في حياته يا (نور) !
سأله (نور) في لهفة :

— ماذا وجدت يا دكتور (حجازي) ؟
حكى الدكتور (حجازي) ذقنه براحته ، وقال في خيرة واضحة :

— أعجب شيء يمكنك تصوّر وجوده يا (نور) .
ثم أردف وهو يعتدل في مقعده :

— بمجرد تسلّس الجثة ، شرعت في الحال في فحص تلك الخلايا التي تألفت بسبب المادة المشعة ، وهما وجدت مفاجأة مذهلة ، فلقد اخترفت تلك المادة المشعة الخلايا كلها في خيط واحد ، دون أن تسبّب لها أدنى ضرر .

اتسعت عينا (نور) دهشة ، على حين تابع الدكتور (حجازي) ، وقد ازدادت لهجته حيرة :

— وعلى قدر علمي لا توجد مادة مشعة واحدة يمكنها اختراق الخلايا ، دون أن تسبّب بعض الاحتراق ، أو الالتهاب على الأقل ، ولكن لا هذا ولا ذاك حدث ..
الأعجب من ذلك أنني تشعبت الخط ، فوجدته يمر عبر خلايا الجمجمة والمخ ، صانعاً خطأ وهمياً من الخلايا المشعة ، حتى يلتقي بالنقطة الأخرى على الجانب الآخر من الوجه .

تحمّ (نور) في ذهول :
— ولكن ذلك مستحيل يا سيّدى .. لو أن المادة المشعة اخترفت خلايا المخ ، لسببت الكثير من التلف .

قلب الدكتور (حجازى) كفيه ، وقال :

— ليست هذه هى النقطة الوحيدة المذهلة
يا (نور) .. لقد واجهت ما هو أعجب ، عندما بدأت
فى فحص باقى الجثتان .. فلقد وجدت لدهشتي أن خلايا
الجسم جميعها أكثر شباباً من العمر الذى تؤكد العظام ..
ولكى نفهم ذلك لك أن تتخيل رجلاً فى الخمسين ، يحمل
خلايا حيوية فعالة لشباب فى العشرين .. هذا بالضبط
ما وجدته ، فلقد أكد فحص العظام أن (الإخشيدى)
فى أوائل الأربعينات من عمره ، ولكن خلاياه حيوية بشكل
لا يتوافر إلا لشباب فى ريعان الصبا .

أغمض (نور) عينيه ، ومسح وجهه فى حيرة محاولاً
إزالة توتره ، ثم قال :

— هل وجدت شيئاً آخر يا سيدي ؟

أوما الدكتور (حجازى) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم يا (نور) .. لقد عثرت على أربع نقاط أخرى
مشعة فى جسد (الإخشيدى) .

لم يستطع (نور) كبح دهشته فى هذه المرة ، فصاح :

— ما معنى ذلك بحق السماء ؟

ثم عاد يسيطر على أعصابه ، ويقول :

— هل سقط ذلك الرجل فى أتون من المواد المشعة

الجهولة ؟

هز الدكتور (حجازى) رأسه نفياً ، وقال :

— لن يتمكنى أن أضع تفسيراً يا (نور) .. لقد

فعلت ما أستطيعه ، وعليك أن تبحث عن الباقي .

نهض (نور) واقفاً ، وقال فى حزم :

— لن أسمع لهذا اللغو بهزيمتنا يا سيدي .. سأفقد من

آخر ورقة أمسك بها .. من الشاهد الوحيد الباقى على قيد

الحياة .. من الفرعوى الأسمر .

* * *

٨ — المحاولة الأخيرة ..

— نسمح للفرعونى بالخروج ١١٢ .. هل جئت أيها
الرائد ؟

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية بهذه
العبارة ، فى مزيج من الدهشة والحنق ، إلا أن (نور)
واصل حديثه ، قائلاً فى هدوء :

— إنها الوسيلة الوحيدة الممكنة لحل هذا الغموض
با سيدي .. سندس فى النطاق الجلودى للفرعونى جهاز
اتصال ميكروسكوبى ، لن يتمكن هو نفسه من كشفه ، ثم
نحمله إلى قرب الأطلال التى عثرنا عليه عندها ، وهناك
نطلق سراحه ، وأنتز ماذا يفعل ؟
قال القائد الأعلى فى غضب :

— وماذا لو أنه تقابل بمصادفة مع مواطن عادى ،
لا يعيد فى الدفاع عن النفس وتسبب فى قتله ؟



قال (نور) :

— سنغلق الطريق من جانبيه يا سيدي لمدة ساعة واحدة ، فلمست أحتاج لأكثر من ذلك .
أطرق القائد الأعلى ، وأخذ يفكر بعمق ، ثم رفع رأسه إلى (نور) ، وقال :

— حسناً أيها القائد .. سنفعل ما تطلبه ، ولكنني أحذرك من أنك ستحمل المسؤولية الكاملة ، لو تسيبت خطئنا فيما يسوء .

ظهر الارتباك على وجه (نور) ، ورفع يده بالتحية العسكرية قائلاً :

— سأتحمل المسؤولية عن طيب خاطر يا سيدي .

* * *

توقفت سيارة المخابرات العلمية ، على بعد كيلومتر واحد من الأطلال الفرعونية الأثرية في طريق (القيوم) ، وهبط منها شرطيان بمسكان جيداً بالفرعولي الأسمر ، الذي تملكه الفرع ، من تلك السرعة الصاروخية التي انطلقت



توقفت سيارة المخابرات العلمية ، على بعد كيلومتر واحد من الأطلال الفرعونية الأثرية في طريق (القيوم) .

قام يواجهه كما ينبغي ، مستحصل من الرجل على كل ما لديه .

هزئت كنفها ، وقالت في حق :

— لم أفهم ما ترمى إليه .. إنك تتحدث بالألغاز .

قال (نور) ، دون أن يرفع عينيه عن الإشارات :

— سنحاول إعادة تصوير الحادث الذي تعرض له

صديقنا الفرعوني (خوف — حر) .. سنضعه في نفس الظروف مرة أخرى ، لنرى كيف يكون رد فعله .

* * *

همس (محمود) في أذن (رمزي) ، وهو يراقب الفرعوني الأسمر ، الذي اقترب من الأطلال في خطوات مرتبكة :

— لماذا يتردد في القدوم إلى هنا يا (رمزي) ؟

همس (رمزي) ، وهو يراقب الفرعوني بدوره :

— لا تسأله حين غادر المكان ، لم يكن أطلاقاً كما

هو الآن .. ثم إن المكان يمثل له ذكرى مؤلمة مخيفة .

بها السهارة طوال الطريق .. ولم يلبث أن تراجع في شك وحيرة حيناً نزع الشرطيان قيوده ، وغادرا المكان في سيارتهما .. ولم تكن السيارة الصاروخية تختفي في الأفق ، حتى دار بصره في أنحاء المكان في حيرة منهمة ، وسرعان ما تهللت أساريره ، عندما وقع بصره على المعبد الفرعوني الذي بدا من بعيد ، وكأنه سليم تماماً ، ثم بدأ يسير في اتجاهه في حماسة وسرعة مذهبتين ، وقد شارفت الشمس على الغروب ..

وعلى بعد خمسة كيلومترات ، راقبت (سلوى) الإشارات التي تبعث من الجهاز الميكروسكوبي اختبأ في نطاق الفرعوني ، ثم سألت (نور) في حيرة :

— إنه يتحرك بالفعل نحو الأطلال الأثرية .. ولكن ما الذي تتوقع أن يفعله ؟

أجابها (نور) ، وهو يتابع الإشارات بدوره :

— لقد وضعت خطتي بعد استشارة (رمزي) ، بصفتي خبيراً في الطب النفسي يا عزيزتي ، ولو أن (محمود)

ثم ربت على كتف زميله ، وقال :

— فلتلزم الصمت حتى لا يتنبه إلى وجودنا ، عليك
بأعداد أجهزتك للعمل .

خطا الفرعونى الأسير إلى الأطلال الأثرية فى حيرة
وارتباك ، وهو يظوف بصره متساندا عما وصل به إلى هذه
الصورة المرئية ، واقتراب فى هدوء من حائط متشقق ،
والخنى يفحص النقوش الهيروغليفية التى تراصت فوقه ، ثم
تراجع فى حدة ، وتعم ببضع عبارات ساخطة لم يفهمها
(محمود) أو (رمزى) ، ثم رفع ذراعيه إلى أعلى وأخذ
يصرخ ، وملاحه تعبر عن الضياع واليأس ، حتى أن
(محمود) تردّد قبل أن يصغط على زر بدء التجربة ، وهو
يقول فى نفسه :

— حسنا .. سأؤدى واجبى ولكن ما يكون .

وفجأة أضاء قرص من البلاستيك الشفاف كبير
الحجم ، مثبت فى سقف المعبد الأثرى ، فغمس المكان
بضوئه الساطع ، وغشى بصر الفرعونى ، الذى صرخ فى

زعر ويأس ، وقفز منكشفا فى أحد الأركان ، وهو يغطى
وجهه بساعده الأيسر ، ويصرخ ويلوح بيده اليمنى ، وكأنه
يبد عن نفسه الخطر ، ثم قفز واقفا ، ولوح بذراعه نحو
القرص وضرم قبضته وكأنه يتحداه ، فهمس (رمزى) فى
إن (محمود) فى انفعال :

— لقد أعاد إليه مشهد القرص المضى وعيه
(محمود) .. لقد تذكر ذلك الرجل ما أصابه منذ
آلاف السنين .. ها قد استيقظت ذاكرته .

ولكن يبدو أن عقل (خوف — حر) لم يكن قد أفاق
أما تصوّر (رمزى) ، وإنما العكس هو الصحيح ، فلقد
أخذ المسكين يصرخ فى جنون ويلوح قبضته ، ثم الخنى
على حجر ضخم فرفعه بعضلاته الفولاذية ، وقد ارتفع
صراخه ..

صاح (رمزى) متخلّيا عن حذره :

— أوقف البرنابج يا (محمود) .. أطفئ القرص قبل
أن يفقد المسكين عقله .

— انتظر يا (رمزي) .. سوف يقتلك هذا الرجل .

تنبه (رمزي) في تلك اللحظة فقط ، إلى أنه يواجه
رجلاً مجنوناً مقتول العضلات ، فتمسّرت قدماه في
مكائهما ، واتسعت عيناه ذعراً ، حينما التفت إليه
الفرعوني ، وملاحقه تنطق بالجنون والشراسة .

* * *



أسرعت يد (محمود) نحو زرّ البرنامج الضوئي ، ولكن
(خوف — حر) كان أكثر ليونة ولياقة .. فقبل أن تصل
سبابة (محمود) إلى الزرّ ، كان الفرعوني قد قذف بالحجر
الضخم ، مستعيناً بعضلاته القوية نحو القرص المضىء ،
الذي تهشم في قوة ، وشاشرت أجزاؤه في كل مكان .

صرخ الفرعوني في جزع ، وهي تكفي وجهه براحتيه
ليحميه من الزجاج المتناثر ، ثم لم يلبث أن صرخ وزمجر في
جنون ، وعاد يرفع ذراعيه ويلوح بقبضته في الهواء . وهو
ينظر بعينين زائغتين إلى القرص الأعظم ، فصاح (رمزي)
وهو ينهض من مكانه :

— يا للمسكين !! لقد فقد عقله .. إنه يحتاج إلى

رعاية عاجلة .

ثم ففر وقد نسي دقة موقعه ، محاولاً إسعاف الفرعوني
الأسير ، الذي امتلاً جسده بالجروح من أنثر الزجاج
الأعظم ..

صرخ (محمود) في جزع :

٩ - الفشل المريع ..

ضاعت عينا (نور) ، وهو يتطلع إلى ضوء القرص
المستدير ، حينما ظهر في الأفق ، وقال في هدوء :
— لقد بدأ (محمود) برنامجا يا (سلوى) .. ثرى ،
هل ستسجح هذه المرة ؟

هزئت كفيها ، وقالت :
— أتمنى ذلك حتى أعود إلى ابنتي .. إننى أشتاق إليها
جدا .

بعث ذكرى ابنته بدفقة من الحنان إلى صدره ، فابتسم
قائلا :

— لست أقل اشتياقا إليها يا زوجتى العزيزة .
وفجأة زوى (نور) ما بين عينيهِ ، وتحرك إلى الأمام
بشكل حاد ، وهو يقول :

— رباه !! لقد انقطع الضوء ؟.. ماذا حدث يا ثرى ؟
وقبل أن تحييه (سلوى) ، سقط في مقعد القيادة ،
وضغط أزرار الانطلاق في سيارته الصاروخية ، التى



اندفعت في سرعة مذهلة نحو الأطلال الفرعونية ، و (نور)
يقودها في مهارة وحنكة ..

صاحبت (سلوى) في جذع لم تدر كنهه :

— ثرى .. هل أصيب (محمود) أو (رمزي) بسوء ؟
قال (نور) وهو ينحرف بالسيارة وسط رمال
الطريق ، مثيراً عاصفة من الغبار :

— إما أن ذلك قد حدث بالفعل ، أو أنه في طريق
الحدوث .. لو لم يسرع إلى هناك يا (سلوى) ..

كانت سيارة (نور) تطلق بالحد الأقصى : لسرعتها
البالغة خمسمائة كيلومتر في الساعة الواحدة ، برغم وعورة
المنطقة الصحراوية التي تسير فوقها ، وهو يقودها بأسلوب
انتحاري ، وقد تملكته فكرة واحدة ، وهي اللحاق
بزميله ، قبل أن يصاب أحدهما بسوء ..

وأخيراً وقع بصره على أطلال المعبد ، وعلى (خوف —
حر) الذي يصرخ في وحشية ، مستعداً للقفز على
(رمزي) وقتله ، وصاحبت (سلوى) :

— رباه !! أسرع يا (نور) .. إن هذا الرجل سيقتل
(رمزي) ..

زارت سيارة (نور) الصاروخية ، وهي تقترب بسرعتها
المدهشة من أطلال المعبد الأثري ، وسقطت أضواؤها على
الفرعوني و (رمزي) ، وبعثت الأضواء الساطعة في نفس
كل منهما بشعور مختلف تماماً ، فقد شعر (رمزي)
بالارتياح على مرأى سيارة (نور) .. أما (خوف — حر) ،
فقد أعادت إليه الأضواء الساقطة ذكرى الحادث الخيف
الذي تعرض له في عصره ، والذي تسبب في وصوله إلى
القرن الحادى والعشرين ، غير آلاف السنين .. ولكن
يبدو أن انتصاره منذ لحظات على القرص المصنوع أصابه
بالغرور ، أو بعث في نفسه دفعة قوية من الثقة بالنفس ،
فلقد تنحى عن مهاجمة (رمزي) ، وانحنى يلتقط حجراً
آخر من أحجار المعبد ، ثم اندفع نحو السيارة ، وهو يطلق
صرخات الحرب واهجوم المليئة بالجنون والشراسة ..



كل هذه العوامل تدخلت وتداخلت ، تمنع (نور) من تفادى الاصطدام ، وانبعثت صرخة الفرعوى المسكين عالية ..

صرخت (سلوى) :

— احتس يا (نور) .. إنه يهاجم السيارة ..
سنصطدم به ..

حاول (نور) الانحراف بالسيارة مبتعداً عن (خوف — حمر) ، ولكن هذا الأخير في صرخة من صرخات الجنون ، قذف بنفسه أمام السيارة الصاروخية القوية ، ولم تلبث صرخته أن تحولت إلى الذعر والألم ..

وحاول (نور) إيقاف السيارة ، ولكن سرعتها الكبيرة وحالة الذعر والدهشة التي انتابت الجميع بالإضافة إلى اندفاع (خوف — حمر) ..

كل هذه العوامل تدخلت وتداخلت ، تمنع (نور) من تفادى الاصطدام ، وانبعثت صرخة الفرعوى المسكين عالية ، وتبحر جنونه في اللحظة الأخيرة ، وحدث التصادم المروع ، وتمزقت أوصال المسكين ، وهو يندفع إلى أعلى ويسقط على وجهه وقد فارقت الحياة .

عض القائد الأعلى على شفتيه ، وقال في غضب :
— لقد قضيت على آخر خيط ، كان من الممكن أن
يقودنا إلى الحل الصحيح أيها الرائد .. لقد كانت خططك
فاشلة .

شعر (نور) بغصة في حلقه ، وهو يقول :
— لقد استشرت الطبيب النفسي للفريق أولاً
يا سيدي ، ولقد وافق على الخطأ ، ولكن يبدو أن
قاطعها القائد الأعلى قائلاً :

— يبدو 11؟ .. وهل اعتمد عمل المختبرات العلمية يوماً ما ،
على مثل هذه الكلمة ؟

قال (نور) في أسف :
— لست أدري كيف حدث ذلك يا سيدي ، ولكنني
أتحمل المسؤولية الكاملة .
صاح القائد الأعلى :

— ستتحمل المسؤولية بالطبع أيها القائد ، وستدلى
بكل ما لديك إلى مكتب التحقيقات في الإدارة ، فلن يمر
هذا الأمر ببساطة .

أدّى (نور) التحيّة العسكرية ، واستدار مغادراً
الغرفة ، ومتوجّهاً في أسى إلى غرفة التحقيقات ، التابعة
لإدارة المختبرات العلمية المصرية .

أسرعت (نشوى) الصغيرة ابنة (نور) و (سلوى)
بخطوات متعثرة . تناسب مع عمرها الذي يبلغ عاماً واحداً
نحو (رمزي) ، وهي تبسم في مرح طفولي . فحملها هو
بين ذراعيه وقبلها ، على حين داعب (محمود) رأسها ، ثم
انفتحت إلى (سلوى) وسألها :

— أين (نور) ؟ لقد واصلني أنه عوقب بالحرم من
ترقيته القادمة .. كيف حاله يا نرى ؟

مطّت (سلوى) شفتيها ، وقالت في حيرة :
— لا يبدو مهتماً بالأمر ظاهرياً ، ولكنني أعلم طبيعته
جيداً ، فهو لا يحتمل القشل .

ابتسم (رمزي) وقال :
— إنه كذلك بالفعل يا (سلوى) ؛ ولذا فهو لا يتم

فعلا بحرمانه من الترقية ، قدر اهتمامه بأول لغز خامض يعجز
عن إيجاد تفسير له .

أجبت رأسها موافقة . وقالت :

— إنه يجلس في غرفة مكتبه منذ الصباح الباكر ،
وأعشى أن تزيد وحدته من الامة .

ضحك (رمزي) ، وهو يتطلع إلى باب المنزل قائلاً :
— لا عليك .. لقد تخلى عن وحدته بإرادته .

التفت (سلوى) إلى حيث ينظر (رمزي) ، وهملت
أسننها عندما رأت (نور) يتقدم نحوهم باسمًا غير
الحديقة ، وسمعته يقول :

— مرحبًا يا رفاق .. هل أنيتم وحدكم ؟

سأله (محمود) في دهشة :

— من كنت تنتظر قدومه معنا يا نرى ؟

ابتسم (نور) ، وقال وهو يتطلع بترقب واضح إلى
الطريق المار بالمنزل :

— لا عليك يا عزيزي (محمود) ..

ثم لَوَّح بذراعه في مرح مصطنع قائلاً :

— اجلسوا يا رفاق ، وساعد لكم شربًا منعشًا .

وأسرع الخطا إلى المنزل ، ولم يلبث أن اختفى داخله ،
فهز (رمزي) رأسه قائلاً :

— مسكين (نور) .. إنه يحاول التظاهر بعكس
ما يشعر به .

وفي نفس اللحظة توقفت أمام المنزل سيارة الدكتور
(حجازي) ، وقفز هو منها في نشاط واضح ، وهو يلوح
بيده لأفراد الفريق ، ثم غيّر الحديقة ، وصافحهم بحرارة ،
ثم سألهم :

— أين (نور) أيها الشبان ؟

هز (رمزي) رأسه في أسى ، وقال :

— إنه في المنزل ، فقد أصابه اليأس ، ويميل إلى الابتعاد
عنا في الوقت الحالي .

قال الدكتور (حجازي) :

— اليأس ١٢ .. لست أوافقك على ذلك يا (رمزي) .

تهد (رمزي) ، وقال :

— معذرة يا دكتور (حجازي) ، ولكنني لا أتحدث بأسلوب عاطفي ، وإنما أبني آرائي على نقاط علمية ثابتة ، ولا تنس أنني طبيب نفسي متخصص ، وليس من السهل أن أفشل في تحليل الحالة النفسية ، لرجل عملت كثيرًا في رفقه .

ضحك الدكتور (حجازي) ، وقال :

— ولكن يبدو أنك قد فشلت هذه المرة ياسي ، فيما يخص بحالة اليأس التي أصابت (نور) .

شعر (رمزي) بالضيق ، وحذق (محمود) في وجه الدكتور (حجازي) في حيرة ، على حين سأله (سلوى) في فصول ولهفة :

— ماذا تعني يا دكتور (حجازي) ؟

ابتسم الدكتور (حجازي) ، وقال :

— لقد طلب مني (نور) أن أبلغه بنتائج فحص جثة الفرعوني .. هل رأيتم رجلاً يائساً يفكر بهذه الطريقة ؟

* * *

١٠ — بريق عينيه ..

صافح (نور) الدكتور (حجازي) في حرارة . وجلس فوق المقعد المواجه له ، وسأله في اهتمام واضح :

— هل وجدت شيئاً جديداً في أثناء فحصك لجثة (خوف — حر) ، يا دكتور (حجازي) ؟

هز الدكتور حجازي رأسه نفيًا ، وقال :

— كنت أتمنى ذلك ياسي ، ولكنني لم أجده أي جديد ، ولكن المدهش في الأمر هو أنني وجدت نفس النقاط العجيبة في جثان الفرعوني أيضًا .. نفس النقاط المشعة على جانبي الوجه ، والخط الوهمي المشع الذي يخرق كل الخلايا بين النقطتين ، وحتى تلك الخلايا الحيوية التي تتناسب مع عمر عظام الجسم .. أمر مذهل .. لا ريب أن كلاً من الرجلين تعرض للظروف ذاتها .

قطب (نور) حاجبيه مفكرًا ، وقال في تركيز :

— نعم يا سيدي .. نفس الظروف ، ولكن في زمنين
تفصل بينهما آلاف السنين .

قال الدكتور (حجازي) :

— عجباً هذا !! في الماضي كان الاختفاء هو الذي يثير
الدهشة . في مناطق مثل مثلث (برمودا) ، والآن تأتي
لحظة الظهور المفاجئ .. يا لها من حياة !!

تمم (نور) في شرود :

— نعم يا سيدي .. اختفاء في الماضي ، ظهور غامض
في الحاضر .. إنها أطراف الماضي يا سيدي .

قال (رمزي) محاولاً الاشتراك في الحديث :

— هذا يشبه تمامًا ما يحدث في العقل الباطن أيها
القائد ، فكثيراً ما تختفي في عقولنا بعض الأمور التي نمر بها
مروراً عابراً ، ثم تأتي لحظة ما أو موقف ما يثير الذكريات
اخترنة ، وننظف هذه الأمور فجأة .. نفس ما حدث
للرجلين (رجهما الله) .

ابتسم الدكتور (حجازي) ، وقال :

— مع الفارق النسبي بالطبع .

تمم (نور) وهو يراقب (سلوى) ، التي أخذت
توزع عليهم أكواب الشراب المنعش :

— نعم يا سيدي ، مع الفارق النسبي .

ثم مد يده يتناول كوب الشراب من يد (سلوى) ،
عندما تسمرت كفه فجأة ، وتألفت عيناه ببريق مذهش ،
وهو يتمم في فرح واضح :

— رباه !! كل شيء نسبي بالفعل .

قفز أفراد الفريق من مقاعدهم ، عندما نحووا ذلك
البريق المألوف يطل من عيني (نور) ، وصاحت
(سلوى) في سعادة جمّة :

— (نور) .. هل عرفت الحل ؟ .. هل توصلت إلى
الحل ؟

قفز (نور) من مقعده ، وتناول البطاقة المغناطيسية
الخاصة بقيادة سيارته الصاروخية ، وصاح وهو يندفع
نحوها :

— نعم يا عزيزي ، ولكنني أحتاج إلى تأكيد بسيط .
أسرعت تتبعه وهي تصفق بكفها في جذل كالأطفال ،
وتقول :

— كنت أعرف ذلك .. كنت أعرف ذلك منذ تحت
بريق عينيك .

توقفت سيارة (نور) أمام الأطلال الفرعونية القديمة ،
وتوقفت خلفها سيارة الدكتور (حجازي) تضم باقي أفراد
الفريق ، وقفز الجميع من السيارتين خلف (نور) ، الذي
توقف وأخذ يدور ببصره في المكان في نظرة فاحصة خيرة ،
ثم يلبث أن أشار إلى بقعة بعيدة ، وقال :

— هناك يا رفاق .. هذه البقعة التي تبدو داكنة أكثر
مما حوها .. فيها فقط يكمن حل اللغز .

اقرب الجميع من البقعة التي أشار إليها (نور) ،
وانحنى الدكتور (حجازي) يفحصها في عناية ، ثم قال في
دهشة :



اقرب الجميع من البقعة التي أشار إليها (نور) ،
وانحنى الدكتور (حجازي) يفحصها في عناية ..

— يا إلهي ٢٢ إن الحشائش تبدو محترقة في هذا المكان
ثم ابتعد قليلاً ، وقال :

— إنها محترقة فيما يشبه الدائرة !
صاح (محمود) في حيرة :

— كيف أمكنت استنتاج وجود مثل هذه البقعة
الدائرية المحترقة أيها القائد ؟
ابتسم (نور) وقال :

— كان لابد من وجودها ، حتى تكتمل أركان الحل
يا عزيزي (محمود) .

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، وقال :

— الآن فقط يمكنني أن أخبركم ، كيف وصل هذان
الرجلان إلى عصرنا الحالي .

١١ — أضواء الحقيقة ..

أخذ (نور) يسير بلا خوف في أنحاء المنطقة الأثرية ،
وهو يقول :

— دعونا نراجع كل ما لدينا أولاً .. لقد عثرنا على
رجلين أتيا من عصرين مختلفين ، وكل منهما يبعد عن عصرنا
بعدد هائل من الأجيال .. وكل من الرجلين رأى شيئا مضيئاً
قبل أن يختفي عن عصره مباشرة ، ولا يمكنه ذكر هذا
الشيء ، بسبب كايح غامض يسيطر على عقله ، بالإضافة
إلى خطأ وهمي مشع يملأ خلايا كل منهما دون أن يؤذيها ..
وأخيراً نجد أن كلا منهما يتجه فجأة وبصورة غير منطقية إلى
أحد الأشياء الحديثة في عصرنا الحالي .. ما التفسير الذي
يربط كل هذه النقاط بخيط منطقي واحد ؟ ..

هز الجميع رءوسهم في تساؤل وحيرة ، فتابع (نور)
وهو يتنسم :

— حسناً .. سنحاول تقريب الأمور .. هل تذكرون
نظرية العالم (ألبرت أينشتاين) عن نسبية الزمن ؟

تهلل (محمود) فجأة ، وصاح :

— لقد فهمت أيها القائد .. إن نظرية (أينشتاين)
تقول : إن السفر في الفضاء بسرعة تقارب سرعة الضوء يمنح
الإنسان عمراً أطول بالآلاف المرات من عمره ، لو أنه بقي
على الأرض .. باختصار ، لو أن توأمين افترقا على الأرض
وعمرهما عشر سنوات ، وبقي أحدهما هنا ، على حين انطلق
الآخر في رحلة إلى الفضاء بسرعة الضوء تقريباً ، فسيعود
ذلك الذي سافر إلى الفضاء بعد عامين فقط ، أى أنه أصبح في الثانية
عشرة ، على حين يكون أخوه الذي بقي بالأرض قد أصبح
كهنلاً في السبعين أو الثمانين ..

أشار إليه (نور) مبتسماً ، وقال :

— هذا بالضبط ما حدث للرجلين يا عزيزى

(محمود) .

علت (نور) وجهه باقى أفراد الفريق ، وقال الدكتور
(حجازى) :

— ماذا تقول يا (نور) ؟ .. كيف سافر الرجلان في
رحلة إلى الفضاء بسرعة الضوء ، برغم أن أحدهما من العصر
الفرعونى ، والآخر من أيام (صلاح الدين) .
اتسم (نور) ، وقال :

— إنهما لم يسافرا ، بل اختطفا يا سيدى .

اتسعت عينا الدكتور (حجازى) دهشة ، وقال :

— رباه !! هل تعنى الأطباق الطائرة ؟

عاد (نور) يعقد ساعديه ، ويقول فى هدوء :

— هذا ما أقصده تماماً يا سيدى .

وقبل أن يتغلب أحدهم على دهشته ، تابع (نور) :

— لقد كان (خوف — حر) يقوم بجولته أو ورديته

الليلية ، حينما أشرقت الشمس فى ظلام الليل على حد قوله

(رحمه الله) .. أو بمعنى أصح انبعث ضوء قوى من فوقه فى

الظلام ، ثم انحفى (خوف — حر) ، وظهر مرة أخرى فى

القرن الحادى والعشرين ، وبين اختفائه ..
القصة التى عولج بها ، كيلا يوح بها مطلقا .
وازدرد لعابه ، ثم أردف :

— لقد اختطف (خوف — حر) .. اختطفته كائنات
من كوكب آخر ، حضرت الى كوكبنا على متن طبق طائر ،
ظهر له كقرص الشمس المضيء فى الظلام ، أخذته
لنفسه حصه فى كوكبها كحيوان تجارب ، ولقد تم فحصه
بوسيلة ما زالت مجهولة لنا ، ولكنها تترك نقاطا مشعة على
جسده .. نقاطا من مواد مشعة لا تؤذى الخلايا ..
باختصار لم يعرف لها مثل على كوكب الأرض بأسره .. وفى
أثناء فحص (خوف — حر) عاد الطباق الطائر الى
الأرض ، بسرعه التى تقرب من سرعة الضوء ، وحصل على
فريسة أخرى صالحة للاختبار ، وأقصد بها (حسام الدين
الإخشيدى) .. وتم فحصه أيضا فى كوكب هذه الكائنات ،
والذى لابد أنه يعد عنا بآلاف السنين الضوئية ، وإلا فما
استغرقت الرحلة كل هذا الوقت .

تمم الدكتور (حجازى) فى ربيعه :
— إنك تضع تفسيراً مذهلاً ببساطة متناهية
يا (نور) .
سأله (نور) :
— ولم تعتبره مذهلاً يا سيدي ؟
قال الدكتور (حجازى) :
— لأنك تتحدث عن أمور عجيبة ، لم يمكننا رؤيتها
أو التأكد منها .
ابتسم (نور) وقال :
— أنت تفعل الشيء نفسه دون أن تدري يا سيدي ..
فحينما تقول بعد فحصك لجثة ما ، إن سبب الوفاة هو
رصاصه انطلقت من الجانب الأيمن على بعد ستة أمتار
مثلاً ، لا تكون قد رأيت الحادث نفسه ، ولكنك تصوّرته
بناء على ما يبدو أمامك من أدلة .
صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم قال :
— هذا صحيح .

— لقد استتحت أن الرجلين سافرا بسرعة الضوء ،
بسبب الحيوية الزائدة في خلاياهم ، بما لا يتناسب مع
سنوات عمرهما ، وتصورت أنه قد أجريت عليهما تجارب
واختبارات عدة في كوكب آخر ، بسبب تلك النقاط
المشعة التي ناثرت على جسميهما ، بصورة غير معروفة في
كوكب الأرض ، ثم تصورت قيام رجلين ، بسبب الفارق
الزمني بين عصر (خوف — حر) وعصر (حسام الدين
الإخشيدى) ، ثم تأكدت من أنهما قد عولجا بوسيلة تفوق
علومنا الأرضية ، لكيلا يفشيا ما حدث لهما أو يتذكراه ،
لأنهما لم يخضعا للتزوير المغناطيسى الذى يحجر كل كائن أرضى
على الإفضاء بما لديه .. وهكذا أبنى تصورى — الذى
تسميه بالذهل — على نقاط منطقية تماما .

ابتسم الدكتور (حجازى) فى إعجاب واضح
بتلميذه ، وقال :

— حسنا يا بنى .. استمر فى سرد استنتاجك

— لم يعد هناك الكثير يا سيدى ، فبعد أن انتهت
الكائنات الفضائية من فحص وإجراء الاختبارات اللازمة
على كل من الرجلين ، أعادتهما إلى نفس النقاط التى تم
اختطافهما منها ، مع فارق زمنى نسبى كما قلت .. ونحن
نتاول المشروبات فى حديقة منزلى ، كانت هذه العبارة هى
مفتاح حل اللغز بالنسبة لى .

ثم أشار إلى البقعة الدائرية المحترقة ، وقال :

— كان ينقصنى فقط أن أجد الدليل على هبوط
الكائنات الفضائية على الأرض ، فى رحلة عودتهم لإعادة
أسيرهم . وها هو ذا أمامكم .
وعاد يعقد ساعديه أمام صدره قائلا :

— وسؤكد علماء معمل الأبحاث التابع للإدارة ، أن
هذه البقعة قد احترقت بفعل مواد مشعة غير معروفة على
كوكب الأرض ، فى نفس اليوم الذى عثرنا فيه على المسكين
(خوف — حر) ، ولا شك عندى فى أننا سنعثر على مثل
ها حول قلعة (صلاح الدين الأيووى) .

قال (رمزي) متسائلا :

— ولكن كيف تعرف الرجال المواد الحديثة في عصرنا هذا ، برغم قديمتهما من عصور ماضية ؟

ابستم (نور) ، وقال :

— أنت نفسك أجبت عن هذه النقطة ، عندما تحدثنا في حديقة منزلي يا (رمزي) . لقد قلت إنه ثمة أمور تنوء في العقل الباطن . ثم تطفو فجأة إذا ما حان موعدا . . ولا شك أن كلاً من الرجلين رأى هؤلاء الكائنات الفضائية . واحتزن في عقله الباطن خوفاً من أسلحتهم الحديثة . ثم تذكر ذلك الخوف حينما رأى أجهزتنا الحديثة أيضاً .

ساد الصمت طويلاً بعد أن ألقى (نور) بتفسيره ، وكان كل منهم يقلب الأمر في ذهنه ، ويحاول إيجاد احتمالات أخرى ، حتى قال (رمزي) أخيراً :

— أنت عقلية نادرة يا (نور) . لقد توصلت وحدك إلى حل هذا اللغز ، برغم غموضه وغرابته المذهلة . . لقد حللته ببراعة .

أطرق (نور) ، وقال في أسف :

— ولكن ليس في الوقت المناسب يا (رمزي) ، وإلا فما لقي هذان المسكينان حتفهما بسببي ، بعيداً عن عصرهما بألاف الأعوام .

* * *



أخذت أصابع القائد الأعلى نداعب بعض أزرار مكتبه لفترة طويلة ، ثم رفع رأسه وتأمل الرائد (نور) بوهة ، ثم قال :

— حسنا أيها الرائد .. إنك لم تفشل أيضًا هذه المرة .
حرك (نور) رأسه في تردد ، ثم قال :
— يمكننا اعتباره نصف فشل ونصف نجاح يا سيدي .
مطأ القائد الأعلى شفتيه ، وقال :

— لقد أثبتت بحوث علمائنا نظريتك أيها الرائد ،
ونأكدوا من أن أجساما فضائية مجهولة هبطت بجوار القلعة
والأطلال الأثرية ، وهذا يعبر نجاحا كاملا .
أطرق (نور) لحظته ، وقال في ضجة أسفة :
— كان يمكن أن يكون كذلك ، لو لم يلق الرجلان
حفتهم يا سيدي .

تهنأ القائد الأعلى ، وقال :

— لقد كان مصرع كل منهما لسبب خارج عن إرادة
الجميع يا (نور) .. لقد قاوم كل منهما ذكرى
الاحتطاف ، فلقي أحدهما حتفه من شدة الرعب ، وقضى
الآخر نحيه بعد نوبة من الجنون المفاجئ .. لا ، أيها الرائد ..
إنني اعتبر ذلك نجاحا كاملا .

اجتمع أفراد الفريق مرة أخرى في حديقة منزل
(نور) ، ودار حديثهما عن ذلك الحادث الذي حوهم
فترة طويلة ، فقال (رمزي) :

— لقد اعتدت طوال حياتي يارفاق ، أن أنظر إلى
الجانب المشرق من الأمور ، حتى أنني في هذه القضية أجد
أن وفاة الرجلين نوع من الرحمة ، فكيف كانت حياتهما لو
أنهما بقيا في عصر يفوقهما بالآلاف السنين ؟ الحيرة والقلق
والخوف وعدم التكيف بالطبع .

وافقد الجميع على قوله ، وقال (محمود) :

— هل تعلمون ما الذي أثارته هذه المغامرة في نفسي ؟

لقد بدأت أنساءل : هل كل حوادث الاختفاء الغامض
ياترى ترجع إلى اختطاف فضائي ؟ .. هل سيأتى يوم يعود فيه
كل من اختطف أو اختفى فى مثلث (برمودا) مثلاً ؟
هز (نور) كتفيه ، وقال :

— من يدري ؟ .. ربما بعد آلاف السنين .

قالت (سلوى) فى غضب :

— تباً لكائنات الفضاء هذه .. إنهم لا يضعون اعتباراً

لأى شيء .. إننى اعتبرهم المسئولين عن مصرع الرجلين .

قال (نور) فى هدوء :

— من يدري يا (سلوى) ؟ ربما لو أننا كنا السابقين فى

الوصول إلى كوكبهم لفعلنا الشيء نفسه .

ثم رفع رأسه إلى السماء ، واسترخى فى مقعده قائلاً :

— إن العلم كالحرب يا عزيزتى .. لا مجال فيه للرحمة ..

أو التراجع .

(تمت بحمد الله)

الفراف



ليلي لماروني

● أطلس الماضي ●

● هل من الممكن أن يعود إنسان من الماضي إلى

عصر متقدم حديث ؟

● كيف تعود هذه الأطلس من آلاف السنين إلى

القرن الحادي والعشرين ؟

● لذي .. هل يصبح (لور) في كشف لغز هذه

الأطلس ؟ .. أطلس الماضي

● اقرأ التفاصيل المثيرة ، واشترك مع (لور) في

حل اللغز



التميز في عصر

ج

وما يستأدل

دولاً أمريكياً

في سائر الدول

العربية والعالم

العدد القادم (ليلة الرعب)

الأسبوع العربي الجديد
الأسبوع العربي الجديد
الأسبوع العربي الجديد